ورد قوله تعالى من المؤمنين رجال ومنهم الذين يؤذون النبي لأنه أريد في الأول الجنس وفي مرجع الضمير في الثاني طائفة معينة من المنافقين ولما كان في الآية تفصيل معنوي لأنه سبحانه ذكر المؤمنين ثم الكافرين ثم عقب بالمنافقين فصار نظيرا للتفصيل اللفظي وفي قوة تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق تضمن الأخبار عمن يقول بأنه من الناس فائدة ولك أن تحمله على معنى من يختفي من المنافقين معلوم لنا ولولا أن الستر من الكرم فضحته فيكون مفيدا أيضا وملوحا إلى تهديد ما وقيل المراد بكونهم من الناس أنهم لا صفة لهم تميزهم سوى الصورة الإنسانية أو المراد التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فيتعجب منها أو مناط الفائدة الوجود أي إنهم موجودون فيما بينهم أو إنهم من الناس لا من الجن إذ لا نفاق فيهم أو المراد بالناس المسلمون والمعنى أنهم يعدون مسلمين أو يعاملون معاملتهم فيما لهم وعليهم ولا يخفى ما في بعض هذه الوجوه من الكلف والتكلف ولكل ساقطة لاقطة واختار أبو حيان هنا أن تكون من موصولة مدعيا أنها إنما تكون موصوفة إذا وقعت في مكان يختص بالنكرة في الأكثر وفي غير ذلك قليل حتى أن السكاكي على علو كعبه أنكره ولا يخفى ما فيه ولا يرد على إرادة العهد أنه كيف يدخل المنافقون مطلقا في الكفرة المصرين المحكوم عليهم بالختم وإن ومن الناس الآية وقع عديلا لأن الذين كفروا بيانا للقسم الثالث المذبذب فلا يدخل فيه لأن المراد بالمنافقين المصممون منهم المختوم عليهم بالكفر كما يدل عليه صم بكم عمي فهم فلا يرجعون لا مطلق المنافقين ولأن اختصاصهم بخلط الخداع والإستهزاء مع الكفر لا ينافي دخولهم تحت الكفرة المصرين وبهذا الإعتبار صاروا قسما ثالثا فالقسمة ثنائية بحسب الحقيقة ثلاثية بالإعتبار وفي قوله تعالى يقول وآمنا مراعاة للفظ من ومعناها ولو راعى الأول فقط لقال آمنت أو الثاني فقط لقال يقولون ولما روعيا جميعا حسن مراعاة اللفظ أولا إذ هو في الخارج قبل المعنى والواحد قبل الجمع ولو عكس جاز وزعم ابن عطية أنه لا يجوز الرجوع من جمع إلى توحيد ويرده قول الشاعر ... لست ممن يكع أو يستكينون ... إذا كافحته خيل الأعادي ... .

واقتصر من متعلق الإيمان على ا والـيوم الآخر مع أنهم كانوا يؤمنون بأفواههم بجميع ما جاء به النبي صلى ا تعالى عليه وسلم لأنهما المقصود الأعظم من الإيمان إذ من آمن با تعالى على ما يليق بجلال ذاته آمن بكتبه ورسله وشرائعه ومن علم أنه إليه المصير استعد لذلك بالأعمال الصالحة وفي ذلك إشعار بدعوى حيازة الإيمان بطرفيه المبدأ والمعاد وما طريقه العقل والسمع ويتضمن ذلك الإيمان بالنبوة أو أن تخصيص ذلك بالذكر للإيذان بأنهم

يبطنون الكفر فيما ليسوا فيه منافقين في الجملة لأن القوم في المشهور كانوا يهودا وهم مخلصون في أصل الإيمان باﷲ واليوم الآخر على ظنهم ومع ذلك كانوا ينافقون في كيفية الإيمان بهما ويرون المؤمنين أن إيمانهم بهما مثل إيمانهم فكيف فيما يقصدون به النفاق المحض وليسوا مؤمنين به أصلا كنبوة نبينا صلى اﷲ تعالى عليه وسلم والقرآن أو أنهم قصدوا بتخصيص الإيمان بهما التعرض بعدم الإيمان بخاتم الرسل صلى اﷲ تعالى عليه وسلم وما بلغه ففي ذلك بيان لمزيد خبثهم وهذا لو قصد حقيقته حينئذ لم يكن إيمانا لأنه لا بد من الإقرار بما جاء به صلى اﷲ تعالى عليه وسلم فكيف وهو مخادعة وتلبيس وقيل إنه لما كان غرضهم المبالغة في خلوص إسلامهم بأنهم تركوا عقائدهم التي كانوا عليها في المبدأ والمعاد واعترفوا أنهم كانوا في ضلال خصوا إيمانهم بذلك لأنهم كانوا قائلين بسائر الأصول وأما النبوة فليس في الإيمان بها اعتراف بذلك وأيضا ترك